الآراء الكلامية للعلاَّمة الدكتور
عبد الله مصطفى الهرشمي
-رحمه الله تعالى- في كتابه:
الرفيق الأعلى (أدلة وجود الخالق)

Theological views of the eminent scholar Dr. Abdullah Mustafa Al-Harshami - may God have mercy on him «in his book«The Supreme Companion (Evidence for the Existence of the Creator)

إعداد

الدكتور أياد علي سالم المساري

Prepared by Dr. Ayad Ali Salem Al-Masari

رئاسة ديوان الوقف السني - مكتب رئيس الديوان

مركز وعي للاستشارات وبناء القدرات - أربيل

Sunni Endowment Diwan Presidency

Diwan President's Office

Waei Center for Consulting and Capacity Building - Erbil

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

ملخص البحث عربي

يعتبر علم الكلام من العلوم المهمة في شريعة الإسلام، وهو الأساس في بقاء الدين؛ ولذلك أهتم به العلماء.

ويعتبر العلامة الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي-رحمه الله تعالى-من العلماء الكبار في هذا الزمان والذي سخر علوم الفيزياء الكونية والحكمة مع علم الكلام في الرد على أشد وأخطر أنواع الملاحدة الذين يعتبرون المادة لا تفنى ولا تستحدث، ومن هنا انطلقوا في إنكار وجود الخالق.

فبين لهم الدكتور عبدالله أن هذه العلوم التي تسندون إليها هي نفسها التي تقول العالم حادث وغارق في الحدوث، وليس قديماً كما يدعون.

فمن خلال والقائع التسعة والتي تبدأ من الذرة إلى أكبرها المجرة كلها حادثة بنص قوانين الفيزياء، وتسخير هذه العلوم المهمة في إثبات العقائد يعتبر من إنجازات الكبيرة لعلماء حضارة الإسلام.

ففي هذا الزمان الذي كثر فيه الإلحاد وإنكار الدين والطعن فيه، كان لزاماً علينا أن نتسلح بهذه العلوم كي نرد هذه الطعنات التي تحاول النيل من شريعة الإسلام.

ويعتبر كتاب الرفيق الأعلى لدكتور عبدالله فريداً في نظمه وحسن صياغته، وهو حجة للمؤمنين يستخدموها في نقاشهم مع المخالفين.

ومن هنا أهتم الباحث بهذا الكتاب الذي يثبت وجود الله تعالى، وأنه الوحيد واجب الوجود السرمدي الأبدي.

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

ملخص اللغة الإنجليزية

Reply allKalam is considered one of the most important sciences in Islamic law, and it is the foundation for the survival of the religion. Therefore, scholars have paid attention to it.

The eminent scholar Dr. Abdullah Mustafa al-Harshmi—may God have mercy on him—is considered one of the greatest scholars of our time. He harnessed the sciences of cosmic physics and wisdom, along with the science of theology, to respond to the most severe and dangerous types of atheists who believe that matter cannot be created or destroyed. This is why they began to deny the existence of the Creator.

Dr. Abdullah explained to them that these sciences, to which they ascribe, are the same ones that claim that the world is created and is immersed in creation, and not eternal, as they claim.

Through the nine facts, ranging from the atom to the largest galaxy, the entire galaxy is created according to the laws of physics. Harnessing these important sciences to prove beliefs is considered one of the great achievements of the scholars of Islamic civilization.

In this time, when atheism, denial of religion, and attacks on it are widespread, it is incumbent upon us to arm ourselves with these sciences to repel these attacks that attempt to undermine Islamic law. Dr. Abdullah's book, "The Supreme Companion," is unique in its organization and eloquent formulation. It serves as an argument for believers to use in their debates with opponents. Hence, the researcher's interest in this book, which proves the existence of God Almighty and that He is the only One whose existence is eternal and necessary.

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

مقدمة

الحمد لله العليم العلام، والصلاة والسلام على أجمل وأكمل الأنبياء سيدنا محمد المظلل بالغمام مظهر تجلي رحمة الله، وعلى الآل والأصحاب هداة الناس إلى نور الايمان. وبعد.

فكان وما زال علماء حضارة الإسلام يدافعون عن عقائد شريعة الإسلام؛ لان الصراع بين النور والظلمات قائم منذ أن خلق الله تعالى الإنسان. ومن هؤلاء الأفذاذ الذين دافعوا عن أصول الإسلام حضرة العلامة المربي الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي-طيب الله روحه وذكره وثراه-. وان مما يميز ردود الدكتور عبدالله هو أنه سخر علوم الفيزياء لإثبات وجود الملك الديان جل جلاله وعم نواله، فقد استطاع بما وهبه الله تعالى أن يرد على أشر وأخطر ملاحدة الزمان، وهم الماديون الفيزيائيون الذين ادعوا أن المادة قديمة أزلية أبدية، وأنها وجدت صدفة من غير خلق الرحيم الرحمن. فمن خلال كتابه (الرفيق الأعلى) الذي لم ينسج على منواله في حاضر الزمان، استطاع أن يبين للناس أجمع مؤمن وغير مؤمن أن الكون حاث وغارق في الحدثان، وأنه يستحيل أن يكون قديماً بغير انشاء.

أهمية الموضوع.

تنبع أهمية الموضوع من الآتي:

١- خطر هؤلاء الملاحدة على عقائد الناس، خصوصاً وهم يدعون أنهم ينطلقون من خلال العلم والبرهان.

٢- تقديم عقائد الإسلام بطريقة علمية عقلية لا تدع مجالاً للتشكيك والبهتان.

٣- موضوع الالحاد أصبح من آفات هذا الزمان.

٣- أبراز دور علماء حضارة الإسلام في هذا الزمان، وأن الله تعالى يهيئ للأمة من يحفظ دينها وعقائدها.

٤- أهمية كتاب الرفيق الأعلى، حيث استخدمت فيه علوم الفيزياء، ومن قوانينها التي اعترف بها أهل الضلال نثبت لك أنها تدل بصريح العبارة على خالق الأرض والسماء.

خطة البحث:

وتتضمن مقدمة، فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، وفيها: أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: نبذة عن حياة المؤلف والكتاب، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: حياة الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي-رحمه الله تعالى-.
المطلب الثاني: مع كتاب مجمع الأشتات.
المطلب الثالث: رحلة مع كتاب الرفيق الأعلى.
المبحث الثاني: أحوال العقائد في أزمنة الناس، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: رحلة في المسائل الاعتقادية.
المطلب الثاني: منهج الدكتور عبدالله الهرشمي في إثبات المسائل الاعتقادية.
المطلب الثالث: مصادر العلم للإنسان.
المطلب الرابع: عالم الغيب والشهادة.
المبحث الرابع: الواقع الكونية، وفيه تسعة مطالب:
المطلب الأول: الذرات.
المطلب الثاني: الحركة والسرعة.
المطلب الثالث: المادة تستحدث وتفنى.
المطلب الرابع: الرياضيات وقانون النسبية.
المطلب الخامس: فيزيائيو الماضي والحاضر.
المطلب السادس: اللبنة الكبرى (المجرات).
المطلب السابع: جهنم الفضاء (الثقوب السوداء).
المطلب الثامن: (التحلل وأعمار المواد).
المطلب التاسع: الانفجار العظيم والفتق المهول.
الكلمات المفتاحية: (الخالق، المخلوق، الفيزياء، الفلسفة، الكلام، الواقع، الذرة، المجرة، الحدوث، القدم).
خاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: نبذة عن المؤلف والكتاب.

المطلب الأول: عن حياة المؤلف:

هو حضرة العلامة المربي الدكتور عبدالله بن مصطفى الملقب بكمال الدين بن أبي بكر الملقب بغياث الدين الهرشمي الأربيلي. ولد سنة ١٣٤٣هـ الموافق سنة ١٩٢٤م.

من عائلة علم وتربية، ممتدة في ماضي الزمان وحاضره. نشأ الدكتور عبدالله في حجر والده كمال الدين الذي ذاع صيته في أرجاء المعمورة بعلمه وصلاحه وتقواه، فتعلم من والده علوم الكتاب والسنة المطهرة، ونال منه الإجازة العلمية في الكتاب والسنة، وكذلك إجازة التربية والسلوك في المنهج النبوي الشريف.

وكان يتقن الأستاذ الدكتور العديد من اللغات. وقد درس أستاذنا في مصر-جامعة الأزهر الشريف-.

وهو أول عراقي درس في إنكلترا، وأخذ شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة لندن سنة ١٩٥٩م.

وظائفه:

تقلد الدكتور عبدالله العديد من الوظائف في الدولة العراقية، ومنها:

١- في ديوان التشريفات الملكية، بصفته نائب رئيس التشريفات.
٢- مدير عام المالية.
٣- مؤسسس ورئيس ديوان الرقابة المالية العامة.
٤- وزيراُ للاقتصاد، ووزيراً للمالية.

مؤلفاته:

له العديد من المؤلفات المهمة وفي ميادين شتى، ومنها:

١- الرقابة المالية العامة.
٢- الحرية الجامعية.
٣- مجمع الأشتات، وهو الذي ندرس فيه هذا البحث.
٤- علم أصول القانون.
٥- نفحات الحياة (شعر باللغة العربية)
٦- معالم الطريق في العمل الروحي الإسلامي.

٧- وانشق القمر، وهو في معجزة انشقاق القمر لنبي صلى الله عليه وسلم.
٨- البرد النظير لسونيتات شكسبير.
٩- ده سته كول (شعر باللغة الكردية).
١٠- أمجاد الأكراد.

وفاته:

وتوفي طيب الله روحه وذكره وثراه عام، ١٤٢١هـ- ٨/١١/٢٠٠٠م[١].

المطلب الثاني: مع الكتاب (مجمع الأشتات)

كتاب مجمع الأشتات هو في الحقيقية أربعة كتب جمعت في مجلد ضخم، وهي على التوالي:

١- الرفيق الأعلى، وهو من يدور عليه البحث، وهو كتاب باحث في شؤون الإنسان المتصلة بما وراء الطبيعة، والمنصب على الأدلة العلمية والبرهان العقلي المحض المتسامي إلى الخالق الباري رب العالمين- جل جلاله وعم نواله- وهذا أجل مبحث من مباحث الحكمة الكونية والفيزياء الكونية[٢].

٢- في القانون (الحق والقانون)

٣- في علم الوضع (المقتضب)

٤- في علم الصوت اللغوي. (المقتطف).

سبب تسميته مجمع الأشتات: وعلى هذا النحو من نشر الثقافة جمع ما بين دفتي هذا الكتاب من علوم وموضوعات، وعلى هذا لقب الكتاب (مجمع الأشتات)[٣].

والذي يهمنا من هذه الكتب المجموعة تحت هذا العنوان، هو كتاب (الرفيق الأعلى) ذلكم الكتاب الرائع في أدلته وصياغته على علوم الفيزياء والرياضيات، وكيف تم تسخيرها بالأدلة على إثبات وجود الله تعالى.

(١): ينظر: الدكتور عبدالله مصطفى النقشبندي حياته وأدبه، الدكتور عثمان أمين صالح- جامعة صلاح الدين،، ط٢، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م. ونظر: الفردوس الندي في تراجم مشايخ الطريق النقشبندي، شرح منظومة العلامة عبدالله الجلي، من تحريرات الشيخ العلامة ملا طيب البحركي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في إقليم كردستان، ط١، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٨م، ص٢١٥ وما بعدها.

(٢): مجمع الأشتات أربعة في كتاب، العلامة الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي، طبع بمطابع التعليم العالي، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م، ص١٢.

(٣): مجمع الأشتات، ص١٠.

المطلب الثالث: رحلة مع كتاب الرفيق الأعلى.

أسباب تأليف الكتاب من وجهة نظر العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي- رحمه الله تعالى-

قال رحمه الله تعالى: وأرى اليوم أجيال الناشئات والناشئين في البلاد الإسلامية أبلغ حاجة من سائر الناس إلى ثقافة عقلية، يوفر هذا الكتاب أهم عناصرها المتعلقة بالكون والحياة، وذلك لأن هؤلاء قلما تخلو أحوالهم من النشأة في إحدى البيئات الآتية:

١- بيئة يظن أصحابها أنها إسلامية ملتزمة وحدها بالدين الخالص، وهم يحرمون العلوم العقلية من الحكمة والمنطق وغيرها، وهذه بيئة متعصبة بعيدة عن مناهج الفكر الإسلامي. ومنها المائلة إلى خرافات زعمتها من الإسلام، وليست هي منه في شيء، وكلا البيئتين عاجزة لا محالة أن توفر للناشئين فيها ثقافة الإسلام.

٢- بيئة يزعم أصحابها أنهم اتخذوا الإسلام ديناً، لكنها بعيدة كل البعد عن حضارة الإسلام، ولا ثقافة إسلامية عندهم لا عامة ولا خاصة، وأيضاً هي عاجزة أن توفر للناشئين ثقافة الإسلام.

٣- فأما بيت اصوله وفروعه مثقفون بثقافة الإسلام، ناحون منحى العلم في أفكارهم وسيرهم، محفوظون عن آفتي الجحود والجمود، فأما هذا البيت المسلم فنادر الوجود في هذا العصر، عصر انحسار الحضارة الإسلامية وغلبة الحضارة الأوربية. وبان لنا من خلال الكلام الآنف الذكر كيف أن أجيال هذا العصر في البلاد الإسلامية هم أشد حاجة من سائر الأمم إلى الثقافة العقلية الخاصة بمجال الكون والحياة[١].

لمن موجه هذا الكتاب؟.

على أنا لا نقصد بهذا الكتاب المسلمين وحدهم، ولا نأخذ في مباحثه النصوص الدينية على أنها براهين إثبات لما نعرضه. فالكتاب موجه إلى ابن الإنسان في أية بقعه من الأرض كان، وإلى أي عشير انتمى من الأديان والأقوام والألوان، ثم الكتاب يعتمد العقلي وحده من الدليل[٢] والبرهان[٣].

المبحث الثاني: أحوال العقائد في أزمنة الإنسان.

المطلب الأول: رحلة الإنسان في المسائل الاعتقادية.

(١): ينظر: الرفيق الأعلى، ص٢٠- ٢٢.

(٢): سيأتي إن شاء الله تعالى تعريف البرهان، ولم هو الدليل الوحيد في هذا الكتاب.

(٣): الرفيق الأعلى، ص٢٢.

وقال الدكتور عبدالله الهرشمي: الإنسان موجود حي عاقل؛ ولإنه ذو حياة وعقل فهو يلحظ ويدرك سائر المجودات، ومنها الكواكب والسماء والأرض(١).

وقد مر في طريق تفكيره هذه بمراحل عديدة، سنجعلها على شكل نقاط تيسيراً للقارئ الكريم:

١- اتخاذ أرباب من الطبيعة عزا إليها فرادى أو أرهاطاً الخلق والإنشاء، ونسب خلق الموجودات...وهذه الموجودات قد تكون شمساً أو قمراً، أو كوكباُ، أو غيرها.

٢- المرحلة الأخرى نسب الخلق إلى الدهر أو المادة التي اعتبرها أزلية وأبديه، أو الصدفة(٢).

٣- وهذه المرحلة وهي انتقال من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة(الميتافيزيقيا) فقد واصل بحثه الحثيث عن موجد وخالق لهذا الكون الفسيح، واستبعد أن تكون الطبيعة بكل أشكالها خالقه لطبيعة نفسها، وكان للأديان السماوية نصيب كبير في توجه الإنسان إلى عالم ما وراء الطبيعة(٣).

ففي الكلام السابق يعطينا الدكتور عبدالله نبذة عن حال معتقدات الإنسان منذ النشأة الأولى له، وكيف ان العقائد لم تكن على حالة واحدة، وأن هناك فجوة بين من آمن وبين من كفر.

هل الإنسان في وقتنا الحاضر، ورغم التطور العلمي ترك عبادة الأوثان وظواهر الطبيعة؟

يُجيب أستاذنا الدكتور عبدالله الهرشمي عن هذا السؤال بقوله: على الرغم من تقدمه العقلي العظيم منذ بدأ يدرس شؤون ما بعد الطبيعة، لم ينس مزعوماته في المراحل السابقة؛ بل احتفظ بعض أجياله بعقائد البائدين من العصور الخالية...ولا تظن أن هذه العبادات إنما هي بقايا من الأديان في بلدان متخلفة مما يدعى اليوم بلقب العالم الثالث، بل موجودة في دول متحضرة ومتقدمة، ومع ذلك تجدها مازالت تبعد بهذه الأوثان، وتعتقد تركب بعضها من عالم الطبيعة، أو بحلوله بين الجنس البشري باستوائه، وخير مثال ما تجده في أوربا وأمريكا واليابان(٤).

وهنا لا علاقة له بين التطور العلمي التكنولوجي وبين الاعتقاد الصحيح، فتجد دولاً السمة الغالبة عليها الالحاد وعدم الايمان بخالق، وهي مع ذلك في غاية التخلف العلمي والاقتصادي وشيوع الجريمة بكل أشكالها، وبعض الدول في أمريكا اللاتينية مثال على ذلك. وهناك دول تعتقد

(١): الرفيق الأعلى، ص١٧.

(٢): سيأتي إن شاء الله تعالى تعريف الصدفة وبيانها في الصفحات التالية.

(٣): ينظر الرفيق الأعلى، ص١٧- ١٩.

(٤): الرفيق الأعلى، ص١٩.

نفس الاعتقاد السائد وهي متطورة في العلوم بشكل كبير كما في اليابان.

المطلب الثاني: منهج العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي في إثبات العقائد.

لقد نحى أستاذنا الدكتور عبدالله منهجاً كلامياً عقائدياً في كتابه قل نظيره بين العلماء في هذا الفن، فهو اتخذ برهان العقل فقط، وترك ما سواه من الأدلة الأخرى، حتى النقلية منها، وهذا الأسلوب له ما يبرره؛ لإنه رحمه الله تعالى، يناقش في هذا الكتاب الملاحدة الماديين الفيزيائيين، الذين لا يعترفون سوى بالأدلة العقلية وينبذون ما سواها.

حيث قال: لكنا سنواصل البحث في هذا الكتاب معتمدين في عملنا على العقل، لا على الدين[1].

نعم لابد من قوانين عقلية يتفق عليها المؤمنون وغير المؤمنين تكون هي معيار الحق والعلم، فالذي لا يؤمن بالله تعالى كيف يؤمن بكلامه ورسله؟! فلابد من طريقة توصله إلى الحق، أو ترد كيده في نحره حتى لا يشوش على الناس عقائدهم.

وقال أيضاً: وفي خضم هذه العقائد المتنافرة التي من بينها العقيدة الجانحة جنوحاً شديداً إلى الإلحاد، وانكار وجود الخالق، أمسى الإنسان العاقل اليوم أشد حاجة منه في أي عصر مضى إلى براهين عقلية موصلة إلى اليقين لا يجحدها إلا من ينكر ويستنكر البراهين على الاطلاق، وإن من البراهين العقلية القاطعة هذا الذي خص هذا الكتاب بعرض مقوماته عرضاً موجزاً للمتخصصين، وميسراً لغير المتخصصين في الحكمة (أي الفلسفة)[2].

وتُعرَّف الحكمة بالآتي: هي علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. وقيل هي خروج النفس إلى كمالها الممكن في جانبي العلم والعمل[3].

فئات الناس في معرفة فيما يتعلق بالخالق

١- طريق البداهة: يقول سالكوها وجود خالق الكون أمر بديهي لا يحتاج فيه إلى دليل.

٢- طريق الاكتفاء: وأصحاب هذه يستدلون بالسببية، لكنهم يقفون عند الخطوة الأولى.

وقفة مع السببية: إن من المعلوم لكل أحد، بالضرورة، أنه ما من شيء إلا وهو يحتاج إلى غيره، وما من إنسان إلا وهو يتصور احتياجه واحتياج أمثاله إلى بعض الأمور واستغناءه عن أمور أخرى.

(١): الرفيق الأعلى، ص٢٠.

(٢): الرفيق الأعلى، ص١٩- ٢٠.

(٣): مبادئ الفلسفة: مبادئ الفلسفة، العلامة المحدث سعيد بن أحمد بن علي بن يحيى البالن بوري (١٣٦٠-١٤٤١هـ) اعتنى به، د. محمد عبدالله فهمي، مكتبة الغانم، ط١، ١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م، ص٧٥.

وإذا كان كل شيء في هذا الكون الفسيح لابد أن يكون علة أو معلول، وبعضه مؤثر في بعض إذن هذا الكون بهذا الشكل يكون واجب الوجود، وأن قوانينه حتمية، وهو يسير نفسه بنفسه من غير احتياج إلى موجد مدبر. لكن علماء العقيدة والكلام في حضارة الإسلام لهم رأي آخر في هذا الموضوع المهم، وبينوا أن التلازم غير ضروري، بل هو راجع إلى العادة وليس ضروريات العقل. وهذا ما بينه حجة الإسلام الإمام الغزالي- رحمه الله تعالى- في معرض رده على الفلاسفة في كتابه العظيم (تهافت الفلاسفة)، تحت عنوان (مسألة الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً)، حيث قال: «الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما متضمن لإثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب والشبع والأكل والاحتراق ولقاء النار والنور وطلوع الشمس والموت وجز الرقبة والشفاء وشرب الدواء وإسهال البطن واستعمال المسهل وهلم جرا إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف، وإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه يخلقها على التساوق لا لكونه ضرورياً في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون جز الرقبة وإدامة الحيوة مع جز الرقبة وهلم جرا إلى جميع المقترنات، وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته».

إذن الموضوع راجع إلى العادة، وليس من ضروريات العقل. فالموضوع بين السبب والمسبب لا يعدو كونه من قبيل المصادفة، وهذا الذي قاله الإمام الغزالي ومن معه من علماء الكلام، هو ما أثبته العلم الحديث من خلال التجارب، وأطلقوا على هذا الاقتران العادي اسم (برد الفعل الشرطي)، وقد قام العالم الروسي بافلوف بتجربة حسية تثبت صحة ما ذهب إليه علماء الإسلام المتكلمون، فقام بتقديم الطعام إلى مجموعة من الكلاب الجائعة عند قرع جرس معين على أسماعها، وكرر ذلك مدة متصلة من الأيام. فكان يظهر تأثرها لمرأى الطعام في كل مرة بسيلان اللعاب من أفواهها. ثم إنه قرع الجرس وحده بعد ذلك دون أن يقدم لها الطعام، فظهر فيها الأثر ذاته الذي كان يظهر عند مرأى الطعام

فالكلاب لكثرة اعتيادها على دق الجرس عند إحضار الطعام، أصبح عندها عادة سيلان اللعاب بسبب تكرار هذا الأمر عليها. وخلاصة هذه التجربة هو، إن ملاحظة السبب والمسبب لا يفترقان، لا يرجع لكون الأمر مستحيلاً، إنما لكثرة وقوعه بينهما[1].

(١): (جهود شيخ الأزهر محمد الخضر حسين ومعاصريه من العلماء في مواجهة الإلحاد) دراسة مقارنة (رسالة مقدمة لنيل درجة (العالمية) الدكتوراه، مقدمة من الباحث اياد علي سالم الطائي، إشراف، الأستاذ الدكتور عبد الله محيي

٣- طريق الصدفة: وأساس هذه نكران العلوم من أساسها، فما العلوم غير قواعد كلية وقوانين عامة جوهرها حقائق التلازم والتعاند والعلية والسببية، والصدفة لا تؤمن بكل ما سبق[١].

ومن جميل أقوال الدكتور عبدالله: وأشد ما يكون الاعتقاد إغراقاً في الخرافة عند عالم فيزياء يعتقد الصدفة، وعالم ذرة يعبد الأبقار[٢].

المطلب الثالث: مصادر العلم للإنسان:

تعتبر نظرية المعرفة أو الابستمولوجيا واحده من أهم المسائل الفلسفية والكلامية والعقدية، ومن خلالها نستطيع أن نشخص الخلل في أي مجتمع، وما هي مشاكله.

تعريف نظرية المعرفة: ويطلق هذا المصطلح على معنيين: معنى واسع، ومعنى ضيق، المعنى الواسع هو: يشمل كل البحوث الفلسفية المهمة التي تتعلق بمظاهر المعرفة، مثل: المنطق، وعلم النفس، وعلم وظائف الأعضاء، والتاريخ والميتافيزيقيا. اما المعنى الضيق: فيراد به العلم الذي يبحث في ماهية المعرفة ومبادئها وأصولها ومتابعتها وشروطها ونطاقها وحدودها[٣].

وقال صاحب النسفية: وأسباب العلم للخلق ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل[٤].

وقد اعتبر حضرة الدكتور عبدالله مصادر العلم[٥] خمسة أسباب، ثم بعد عرضها يذكر أي واحد منها هو المعتمد في كتابه الرائع.

الدين عزب
أستاذ العقيدة والفلسفة وعميد كلية، الدكتور عرفة عبد الرحمن النادي مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية. أصول الدين- القاهرة، الفصل الرابع، ص١٠٦- ١٠٧.

(١): الرفيق الأعلى، ص٢٣- ٢٥.

(٢): الرفيق الأعلى، ص٢٥.

(٣): ينظر: تمهيد للفلسفة، الدكتور الوزير محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف المصري الأسبق، وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف، مكتبة الإيمان، ط٢، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م، ص١٣٧. وينظر: نظرية المعرفة الأبستمولوجيا وأثرها في السلوك والاعتقاد، (السوفسطائيون، العقليون، التجريبيون، المسلمون) الدكتور اياد علي سالم المساري الطائي، دار النور المبين للنشر والتوزيع- الأردن- ، ط١، ٢٠٢٤م، للباحث نفسه، ص٢٣ وما بعدها.

(٤): المجموعة السنية على شرح العقائد النسفية، (رمضان أفندي، الكستلي، الخيالي)، عنى بها مرعي حسين الرشيد، دار نور الصباح، ط١، ٢٠١٢م، ص١١٨.

(٥): العلم إثبات المعلوم على ما هو به. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة – بيروت، ص٣٩.

فقال: فكل ما يمكن أن يعلمه الإنسان يأتيه من واحد أو أكثر من المصادر التالية:

١- الحواس: وجاء تعريف الحواس في العقائد النسفية: الحواس جمع حاسة بمعنى: القوة الحساسة وهي خمسة: السمع، والبصر، واللمس، والذوق، والشم(١).

٢- العقل: وجاء تعريفه: وَالْحق أَنه نور فِي بدن الْآدَمِيّ يضيء بِهِ طَرِيقا يبتدأ بِهِ من حَيْثُ يَنْتَهِي إِلَيْهِ دَرك الْحَواس، فيبدو بِهِ الْمَطْلُوب للقلب، فيدرك الْقلب بِتَوْفِيق الله وَهُوَ كَالشَّمْسِ فِي الملكوت الظَّاهِرَة«. وقال أيضاً:»الْعقل يُقَال للقوة المتهيئة لقبُول الْعلم»(٢).

٣- الخبر الصادق: وجاء تعريفه: أي المطابق للواقع، فان الخبر كلام يكون لنسبته خارج تطابقه تلك النسبة فيكون صادقاُ، أو لا تطابقه فيكون كاذباً(٣).

٤- الحاسة السادسة. وهي الإلهام والفراسة.

٥- الرؤيا: وجاء تعريفها: والرؤيا كالرؤية، غير أنها مختصة بما يكون في النوم فرقا بينهما كالقرية والقربى، وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المخيلة إلى الحس المشترك، ورأى رؤيا: اختص بالمنام ورؤية: بالعين ورؤيا: بالقلب(٤).

فبعد أن ذكر الدكتور العلامة عبدالله الهرشمي مصادر الأدلة السالفة الذكر، قال: نحن نقدر هذه المصادر كلا حق قدره، غير أنا نقول في صراحة وشجاعة والتزام: إنا نعتمد ههنا على العقل ومبادئه اعتماداً كلياً ونستعين بالحواس في بعض المقدمات، أما المصادر الثلاثة الأخيرة فلا شأن لنا معها في البراهين العقلية(٥).

وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، فان العقل قاسم مشترك بين البشر، وهو مناط التكليف، حتى قالوا: إذا اخذ ما وهب، سقط ما وجب.

وشرائع الإسلام قائمة على العقل في كثير منها. فالذي لا يؤمن بوجود زيد لا يؤمن برسالة جاءت منه اليه.

تعريف البرهان العقلي: وهو قياس مؤلف من مقدمات يقينية؛ لإنتاج اليقين(٦).

(١): المجموعة السنية، ص١٢٣- ١٢٤.

(٢): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق، عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص٦١٨.

(٣): المجموعة السنية، ص١٢٩- ١٣٠.

(٤): الكليات للكفوي، ص٤٧٥.

(٥): الرفيق الأعلى، ص٢٩- ٣٠.

(٦): سيف الغلاب في شرح مغني الطلاب على متن إيساغوجي، الحاج محمد بن فوزي بن الحاج أحمد اليارانكموي، تنقيح، الدكتور الملا فريد قادري، انتشارات كردستان، ط١، ١٣٩٨هـ، ٢٠١٩م، ص٢٩٩.

والبرهان العقلي يبتغي التوصل به إلى الحقيقة واليقين[١].

هذا وقد أسهب الدكتور عبدالله الهرشمي في قضية عدم الأخذ ببقية مصادر العلم الأخرى بأسلوب علمي منضبط أيما انضباط، فليرجع اليه من أراد الحق الذي تطمئن اليه النفوس.

أنواع الأدلة عند الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي- رحمه الله تعالى-

تعريف الدليل: الدليل عند الأصوليين: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري توصلا يقينيا أو ظنيا، فهو عندهم قد يكون مفرداً كـ(العالم) الذي يمكن التوصل بصحيح النظر والتأمل في أحواله إلى وجود الصانع، وقد يكون مركبا كقولنا: العالم ممكن، وكل ممكن يحتاج في وجوده إلى مؤثر، فانه يمكن التوصل بالنظر والتأمل الصحيح في نفسه إلى مطلوب خبري أعني احتياج العالم في وجوده إلى المؤثر والخالق. وعند المنطقيين: هو المركب من قضيتين يستلزم لذات هيئته العلم المتعلق بهما علما بقضية أخرى[٢].

وعرفه الدكتور عبدالله، حيث قال: الدليل جملة معلومات مترابطة تثمر نتيجة، وهذه المعلومات هي مقوماته، أي الذي يتألف منها الدليل ويتقوم بها[٣].

والأدلة هي: البرهان، أدلة الأصول، الدليل الخطابي، المغالطة، الدليل الشعري، دليل المجادلة، هذه غير نافعة في مجال العلوم[٤]. ولم يختر العلامة الدكتور عبدالله سوى البرهان العقلي كما قال: البرهان: اقوى الأدلة العقلية على الاطلاق[٥].

١- البرهان. هو الذي تتألف مقدماته التعليلية من مبادئ العقل الضرورية القطعية المنتجه حق اليقين.

٢- أدلة الأصول. هي المركبة من مقومات يقينية مستحصلة من الاستقراء أو القياس أو التواتر أو التجربة المستفيضة.

٣- الدليل الخطابي. وهو المركب من مقومات تورث العلم بالنتيجة المطلوبة؛ لكنها ليست من صنف مقدمات البرهان التعليلية، ولا من اليقينيات التي تستعصي على النقض والمعارضة.

---

(١): مجمع الاشتات، ص٣٠.

(٢): حاشية البنجويني على رسالة آداب البحث والمناظرة للكلنبوي (١٢٠٥هـ) مع تعليقات مجموعة من الأفاضل، دراسة وتحقيق، الأستاذ الدكتور محمد ذنون يونس الفتحي، دار الرياحين، ط١، ١٤٢٢هت- ٢٠٢١م، ص١٠٥ وما بعدها.

(٣): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٣٩.

(٤): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٤٢.

(٥): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٤٠- ٤١.

وهو يتألف من اليقينيات وأصولها، وهو ينقسم إلى لمِي، إني[١].

دليل المغالطة: وعرف بالآتي: قياس فاسد اما من جهة الصورة أو جهة المادة، اما من جهة الصورة فأن لا يكون على هيأة منتجة لاختلال شرط معتبر بحسب الكمية أو الكيفية أو الجهة كما اذا كان كبرى الشكل الأول جزئية أو صغراه سالبة ممكنة[٢].

ودليل المجادلة: وهو يتألف من المشهورات والمسلمات[٣].

ودليل الشعري: وهي قضايا يخيل بها فتتأثر النفس منها قبضا وبسطا فتنفر أو ترغب[٤].

فكرة الشك من وجهة نظر الدكتور عبدالله الهرشمي.

بدأت قضية الشك في أوربا أثناء ما يعرف بالنهضة الأوربية، ونسبت إلى الفيلسوف ديكارت الفرنسي، وقد شككت بجميع مناحي الحياة.

مفهوم الشك بين المعنى الأصلي في لغة اليونان، وبين المعنى المفهوم الآن:

فقد كان يعني في اللغة اليونانية: البحث والتنقيب، أو الاختيار، أو الاستطلاع، والشاك بناء على ذلك هو ذلك الإنسان الذي لا يزال يبحث عن الحقيقة؛ لكن معنى الكلمة تغير وأصبحت كلمة الشاك ذلك الإنسان الذي يتخذ موقفا معرفيا معينا، وهو موقف يتمثل على وجه التحديد في انكار المعرفة[٥].

وسنلخص أهم ما ذكره الدكتور عبدالله الهرشمي على شكل نقاط، كالآتي:

١- سبب الشك في بلادنا هو ما اشيع حولها أنها من أسباب النهضة الأوربية[٦].

٢- دخول هذه القضية إلينا كان في القرنين الميلاديين التاسع عشر والعشرين[٧].

٣- نسبت زوراً للفيلسوف ديكارت. والكتاب الذي ذكر فيه هذه القضية هو (مقالة الطريقة لديكارت).

---

(١): المجموعة المنطقية وتحتوي على التذهيب للخبيصي على تهذيب المنطق والكلام للتفتازاني، بحواشي: العلامة، وحسن العطار، والشرنبوي، مكتبة أمير- كركوك- العراق- دار أبن حزم- ، ط١، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م، ص٨٧١ وما بعدها.

(٢): تحرير القواعد المنطقية للعلامة القطب الرازي، في شرح الرسالة الشمسية، لنجم الدين الكاتبي، مع حاشية الشريف الجرجاني، المكتبة الهاشمية، ط٢، ٢٠١٥م، ص٣١٢.

(٣): المجموعة المنطقية، ص٨٨٢.

(٤): الرسالة الشمسية، ص٣١١.

(٥): دراسات في الفلسفة الحديثة، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف المصري الأسبق، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، دار الطباعة المحمدية- القاهرة- مصر- ص٥٨.

(٦): والمراد هنا ليس الشك العلمي الذي قال به العلماء.

(٧): وتعتبر هذه القرون بداية الغزو الأوربي بكل أشكاله إلى منطقتنا.

٤- فكرة الشك في بلادنا جاءت مشوهة ومغلوطة، وهي رفض الثقة بكل معرفة من العلم وثقافة من الدين متلقاه وموروثة، فالمشكك فيها منزوع عنها الوثوق بالنسبة إلينا إنما هي حضارة بلادنا هذه، وتراثها جملة وتفصيلا.

٥- علم الكلام والعقائد نشأ من أجل الدفاع عن حضارة الإسلام ضد هكذا أفكار وخصوصاً السوفسطائيين.

٦- من خلال قول ديكارت: أنا أفكر إذن أنا موجود[١].

٧- الشك منهجي؛ لا شك وجودي؛ فقد كان ديكارت حريصاً دائما على أن لا يتطاول شكه إلى شيء مما له اتصال بالدين، أو ماله على العموم مساس بالأخلاق وشؤون الحياة العملية.

٨- أصل النظرية هي للإمام الغزالي، وليست لديكارت، فهو كان مجرد مقلداً للغزالي الفيلسوف العظيم

٩- منحى الشك غزالي وليس بديكارتي، بغدادي وليس بباريسي.

١٠- فكرة الشك عند الغزالي أوسع وأشمل منها عند ديكارت[٢].

المطلب الرابع: عالم الغيب والشهادة.
الترابط بين الدنيا والآخرة.

الدنيا والآخرة، أو كما سماها الدكتور عبدالله: الطبيعة وما وراء الطبيعة. وهنا لابد من جسر بينهما كما قال[٣].

ماهي الكيفية للعبور من الدنيا إلى الآخرة؟

والوصول إلى ما وراء الطبيعة إنما يكون بالعقل والفكر والبرهان، لا بالأكل والشرب واليدين والأسنان، وإنما يتم له العبور على جسر بين العالمين مبتداه من أولها، ومنتهاه من الثاني في سياق الواقع والكلام[٤].

وهذا الذي قصده الدكتور عبدالله، هو أنك أيها الإنسان الموجود في هذه الحياة الدنيا اذا أردت معرفة العالم الأخر عليك أن تتخذ الوسائل والطرق الصحيحة، ومنها: العقل والبرهان، فمن

(١): وهذه المقولة فيها خطأ منطقي عقلي كبير كما بين الدكتور عبدالله الهرشمي، فهي لا تستقيم عقلاً، عكس مقولة الامام الغزالي: أنا شاك اذا أنا موجود

(٢): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٤٥ وما بعدها.

(٣): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٦١.

(٤): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٦١.

خلالها تستطيع أن تتلمس ذلك العالم الأخروي، فطريق العالم الآخر يختلف عن طرق هذا العالم الذي تسير فيه.

ولابد من جسر يربط كلا العالمين.

تعريف الطبيعة عند الدكتور عبدالله الهرشمي: فالطبيعة عندنا عالم من الكيمياء والفيزياء والذرة والمجرات، أما ترى إلى اسمها المطابق مسماها: (الطبيعة) (فعيله) بمعنى (مفعولة) وفي اشتقاق هذه اللغة الجميلة فمعناها المطبوعة على قوانين راسخة لا تحيد هي عنها قيد أنملة ولا تعرف دونها صدفة ولا فوضى، فالطبيعة هي الكون، وهما مجموعة الزمان والمكان والمادة والقوى، وما بين هذه كلها من علاقات وتفاعل(١).

من جماليات هذا التعريف أنه استدل بالقوانين الفيزيائية والكيمائية واللغوية، وجاءت جميعها مترابطة متكاملة لا نفرة بينها.

أهمية علم الفيزياء في العبور إلى الآخرة. وظيفة علم الفيزياء هي فهم خصائص الزمان والمكان والبنية الأساسية للمادة وفعالية الطاقة والقوى في الطبيعة، ونحن محتاجون إلى هذا الفهم نعبر عليه إلى ما وراء الطبيعة(٢).

ومن ههنا يأتي اتخاذنا بنية الجسر من قوانين علم الفيزياء الحديث(٣).

الزمان: فهو عبارة عما به تقدير الحركات(٤).

المكان: وهو ظرف بمعنى الموضع. وهو في اللغة ما يعتمد عليها. واختلف العلماء في ما هيته على ثلاثة أقوال.

١- عند المشائين: السطح الباطن من الجسم الحاوي، المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي.

٢- عند الاشراقية: بُعد جوهري موجود في المادة.

٣- عند المتكلمين: بعد موهوم مع اعتبار حصول الجسم فيه.

والحيز هو المكان عند الجمهور(٥).

(١): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٦٢.

(٢): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٦٣.

(٣): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٦٣.

(٤): شرح الخيرابادي على متن هداية الحكمة، الإمام عبد الحق بن الإمام فضل الحق، دار النور المبين للنشر والتوزيع- الأردن- ، ط١، ٢٠٢٢م. ص٧٥.

(٥): مبادئ الفلسفة، ص١٠٦.

المبحث الثالث: والوقائع التي تحدث في الكون.

المطلب الأول: الواقع الأول: الذرات

يتكلم الدكتور عبدالله في هذا الواقع إلى أن الكون كله، من أصغره- وهي الذرات- إلى أكبره وهي المجرات- .

والذرة ليست هي أصغر ما موجود في الكون. والسبب في اختيار الذرة لما بينها من ترابط وتكامل، وأيضاً صالحة للعد والحسبان.

وهذه الذرات كانت لفترة ليست ببعيدة ولا تُرى ولا تُحس، وإنما كانت تعرف عن طريق العقل وعلومه.

وأن هناك أجزاء أصغر من الذرة، وهي (كوارك) واسماه الدكتور عبدالله (اللامتجزيء، أي الجزء الذي لا يتجزأ)[1].

فائدة هذا الكلام الذي قاله الدكتور عبدالله هو: النتائج التي تنفعنا في بناء الجسر العلمي الذي شرع في إقامته.

والكون متكون من احد عشر بعدا غير الابعاد الثلاثة التي نعرفها، ومن هذه الابعاد القوة الكهرومغناطيسية، وهي بعد مكاني غير مرئي.

وأيضاً ليس كل ما لا نراه غير موجود، وخير مثالٍ على ذلك الذرة التي بقيت ملايين السنين لا ترى.

الكون كله من أصغره إلى أكبره متكون من أجزاء ذريه، والابعاد بين المجرات مشحونة بالقوى والاشعة الكونية.

النتائج من هذا الواقع:

١- أن أصل كل مادة وقوامها في الطبيعة الذرة أو الموجودات الدوذرية، سواء التفاحة في يدك، أو نويات في الشمس.

٢- أن الأصل لما كان متجانساً واحداً تساوت الاختبارات العلمية سواء أجريت على صخرة من الأرض أو صخرة مجلوبة من القمر أو شعاع من حول الأرض، ومن ثم أمكن التوصل إلى قوانين النسبية باتخاذ المجموعة الشمسية عينة للبحث[2].

(١): هو المتحد الذي لا يقبل القسمة. رسالة في علم الكلام، الامام أثير الدين الأبهري (ت ٦٦٣هـ)، تحقيق، محمد أكرم أبو غوش، دار النور المبين- عمان- الأردن، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص٩٢.

(٢): وقد ذكر علماء الكلام كلاماً يشبه الكلام الذي ذكره الدكتور عبدالله، حيث جاء: الأجسام كلها متماثلة- أي متحدة الحقيقية- واختلافها بالعوارض، وهذا أصل ينبني عليه كثير من قواعد الإسلام، ومبنى هذا الأصل عند المتكلمين:

٣- القول بإن كل ما لا يعرف عن طريق الحواس الظاهرة فهو معدوم أو مرفوض في العلم، يعتبر ضرب من ضروب الجهل والحماقة العلمية، سواء كان سفسطائيين أو معاصراً يهوى القول بأزلية المادة[١].

المطلب الثاني: الواقع الثاني: الحركة والسرعة.

وملخص هذا الواقع، هو أن الحركة هي الظاهرة العامة في الطبيعة لا السكون، والدليل على ذلك هو: أن الذرات التي هي قوام المادة تدور جواهرها (الالكترونات) حول نواتها. وهذا هو شأن المخلوقات من أرنبة الأنف للإنسان إلى المجرات، وصلابة المادة تحددها سرعة الجواهر الفردة.

وهذا الدوران والسرعة ليس مقتصراً على الذرات؛ بل حتى الكواكب تدور حول مجراتها، وهكذا بقية الأشياء.

أقوى سرعة هي سرعة الضوء (٣٠٠٠٠٠ ألف كيلو متر في الثانية) ومن خلال قانون النسبية أن أي مادة في الطبيعة لو أمكن التسريع بها تسريعا يفوق سرعة الضوء فإن كتلتها ستتضخم تضخما مائلا إلى اللانهائية، ويعلم من هذا أنها لا محالة تتلاشى وتنعدم[٢].

نتائج هذا الواقع:

١- إن السرعة هي أمر لصيق بالزمان والمكان موجودة معها، ومتفاوتة حتى حدها الأقصى.

٢- إنها عبارة عن الانتقال أو السير المستمر من حيز إلى حيز، سواء كان المسار فلكيا دائريا، أو منحى دائريا، أو شبه دائري.

٣- إنها داخلة أي السرعة في عوامل تكوين المادة والأجسام، وأنها لو تجاوزت حدها الأقصى الثبت المحدد فإنها تتسبب في فناء المادة والأجسام.

٤- وهذه النقطة المهمة: وهي أن السرعة متغيرة حادثة بعيدة كل البعد عن أن توصف بالأزلية، وأن مادة الكون التي تدخل السرعة في قوامها على ذلك النحو ايجاداً وإعداماً هي الأخرى لا محالة متغيرة حادثة وليست أزلية؛ والسبب أن الأزلية والحدثان متضادان متطاردان، في برهان العقل. أفلا ترى أن الأزلية إنما هي نفي الحدوث، وأن الحدوث إنما هو نفي الأزلية، فيستحيل

ان أجزاء الجسم ليست الا الجواهر الفردة، وأنها متماثلة لا يتصور اختلاف حقائقها. ينظر: حاشيتا شيخ الإسلام حسن العطار (الكبرى والصغرى) على شرح مقولات العلامة الفاضل والمحقق الكامل أحمد السجاعي، مؤسسة السيد محمد مصطفى، دار ميراث النبوة، ط١، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١. ص٦٥- ٦٦.

(١): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ٦٤- ٦٧.

(٢): ينظر: مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٦٧- ٦٨.

أن يكون شيء أزلياً وحادثاً معا مثلما يستحيل أن يكون موجوداً ومعدوماً معاً[١].

الحدوث: ما كان معدوماً ثم صار موجوداً[٢].

الأزلي: هو ما لا أول له عدمياً أو وجودياً[٣].

المطلب الثالث: الواقع الثالث: المادة تستحدث وتفنى.

ونلخص هذا الواقع بالآتي: علم الفيزياء اثبت أنه يمكن استحداث المادة وإفناؤها في المختبرات.

فقد استطاعت المختبرات الغربية كالتي موجودة في مركز (سيرن- جنيف- سويسرا) استحداث من الطاقة عناصر جديدة أدرجت في جدول العناصر.

وعلى ما سبق يمكن تصور المادة: على أنها طاقة حبيسة أو متجسدة.

فأين الأزلية لشيء هو يستحدث من قبل محدث وهو الإنسان؟!

كيف تفنى المادة؟

لقد أصبح معلوماً استحداث المادة في المختبرات، لكن هذا الاستحداث نتج عنه شيء اخر، فقد لوحظ أن كل جزيء تم استحداثه يرافقه ما يعرف بـ(مضاد المادة) وإذا تصادم الاثنان جزيء المادة مع مضاد المادة فإن الاثنين ينتهيا إلى فناء.

وهذه المضادات قليلة في الكون، وإلا لو كانت كثيرة لفنا الكون كله، فكأن الطبيعة حاملة بذرة إفنائها معها.

وهنا قد ضرب الدكتور عبدالله الهرشمي مثالاً لذلك فقال:

$E=mc2$

الطاقة= الكتلة × مربع سرعة الضوء.

وطاقة التفاعل النووي تعادل خمسين مليون مرة طاقة الاحتراق العادي.

نتائج هذا الواقع: المادة والطاقة هما متعاورتان متغيرتان ليستا بأزليتين ألبته؛ بل هما حادثتان

---

(١): ينظر: مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٦٨- ٦٩.

(٢): الاقتصاد في الاعتقاد، حجة الإسلام والمسلمين الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، عنى به: أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار المنهاج- المملكة العربية السعودية- جدة- ط٢- ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م، ص١٣١.

(٣): مقدمات علم الكلام، الأستاذ الدكتور محمد ربيع جوهري، عميد كلية أصول الدين الأسبق- جامعة الأزهر الشريف، ط١، ١٤٤٥هـ- ٢٠١٨م، ص٢٨.

وقابلتان لطريان التغير[1].

دليل علمي فيزيائي يأتي به العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي، يثبت فيه بما لا مجال للشك بكون المادة تستحدث وتفنى أيضاً، والحدوث والفناء ليسا من الأزلية بشيء ألبتة.

المطلب الرابع: الواقع الرابع: الرياضيات وقانون النسبية.

ويتلخص كلام حضرة الدكتور عبدالله في هذا الواقع بالآتي:

رياضيات قانون النسبية يخبرنا بأن الزمان والمكان قابلان للتقلص والانكماش وللتمطط والامتداد.

وقد ضرب من الأمثلة على ذلك من تغير المسافة بسبب السرعة المقتربة من سرعة الضوء، وهذا ما أثبته مراكز (سيرن- في أوربا) وفي (جامعة ستانفورد).

وبالنسبة لتغير الزمان (إلتواء الزمان) فهو مطبق عمليا في (جهاز سنكروترون- في مختبر ديرسبري- المملكة المتحدة) وهذا أمر مفروغ منه لأصحاب النسبية.

نتائج هذا الواقع:

١- المكان والزمان، والزمكان بالضرورة، ليس أي منهما ثابتاً مطلقاً؛ بل هما نسبياً متغيران.

٢- لا يوجد زمان واحد عالمي ولا مقياس مطلق للكم المتصل[2] غير قابل للتغير والتغاير.

٣- حدثان اثنان يمكن أن يستغرقا دقيقيه واحدة بالنسبة لراصد، وساعة كاملة بالنسبة لراصد آخر، وفق متغيرات السرعة والزمكان، وهذه النتيجة لا تبقى أيما شك في أن الكون متغير حادث بكل ما فيه ليس إلا[3].

المطلب الخامس: الواقع الخامس: فيزيائيو الماضي والحاضر.

ونخلص كلام أستاذنا العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي كما يأتي:

- الفيزيائيون القدامى كانت نظرتهم إلى المادة نظرة أزلية أبدية؛ وذلك لأنهم اعتقدوا أن مكونات الذرة وكل الجزيئات الدوذرية (إلكترون، بروتون، فوتون، نيوترينو) مستقرة من حيث العمر

(١): ينظر: مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٧٠- ٧١.

(٢): الكم المتصل: هو عرض يمكن أن يفرض فيه جزءان يتلاقيان على حد واحد مشترك بينهما تكون نسبته اليهما واحدة، كالنقطة بالنسبة إلى جزئي الخط المفروضين فيه. المقولات العشر بين الفلاسفة والمتكلمين، الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبدالله، مركز الهاشمية- تركيا- ط٢، ٢٠١٦م، ص٤٠.

(٣): ينظر: مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ٧١- ٧٢.

أي أن لها عمراً لا نهائياً.

- الفيزيائيون في الوقت الحاضر عكس أولئك تماماً، فقد أثبتت الأبحاث العلمية للفيزياء الحديثة. مثلاً: النيوترون الحر خارج النواة ينحل كل ١٥ دقيقة. وكل الجزيئات الأخرى المعروفة تتراوح اعمارها بين أجزاء من الثانية إلى ١٠٣٢ من الثانية.

نتائج هذا الواقع:

الكون جملة وتفصيلاً، أساساً وشكلاً، زماناً ومكاناً، (جوهراً[١] وعرضاً[٢]- على مصطلحات الحكمة القديمة[٣]) كله حادث غارق في الحدثان، بعيد عن الأزلية، وقد حدث وجوده بعد عدم محض[٤].

المطلب السادس: الواقع السادس: اللبنة الكبرى المجرات.

ويتلخص كلام حضرة الدكتور عبدالله الهرشمي بالآتي:

- المجرة الواحدة تتكون من آلاف مؤلفة من النجوم والكواكب كالشمس والقمر.

- النجم في المجرات يمر بعدة أطوار، وهي كالآتي:

المرحلة الأولى:

أ- الغبار الكوني يملأ الكون.

ب- الغبار الكوني يتكون من نوعين هما: النوع الأول: نواة الذرة، وهي شحنة كهربائية موجبة: النوع الثاني: الجوهر الفرد (الكرتون) وله شحنة كهربائية سالبة.

ج- عند التقاء النوعان تتكون ذرة عنصر (الموييء) أي الهيدروجين، وهي أصغر وأبسط ذرة في الكون.

د- عند اجتماع هذه الذرات الأساسية تكون ما يشبه الضباب والسحب التي تظهر في المراصد متحركة بين المجرات، وكلما تعاظمت هذه ازدادت الجاذبية قوة.

---

(١): وهو المتحيز بالذات، ومعنى هذا أن حوله في المكان وتحيزه فيه ليس تابعا لتحيز غيره. المقالات العشر، لدكتور محمد رمضان، ص٣٣.

(٢): وهو موجود قائم بمتحيز، المقولات العشر، لدكتور محمد رمضان، ص٢٩.

(٣): العلم بأحوال الموجودات الخارجية على ماهية عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. المقالات في المقولات، الشيخ العلامة مفتي العراق عبدالكريم المدرس، تحقيق، الدكتور ريان توفيق خليل، دار الرياحين، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ص١٥.

(٤): ينظر: مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٧٢- ٧٣.

هـ- عندما يصل قطر السحابة نحو ستة عشر ألف مليون كيلومتر تبدأ هي تنحو نحو التحول من حالة غاز إلى حالة صلب فيتقلص حجمها، وهنا ندخل الطور الثاني.

الطور الثاني: يبدأ هذا الطور بتفاعلات وتصادمات بين أجزائه المترامية كالآتي:

أ- التقلص يكون شديداً وضنكا يتسبب له تصاعد قوة الجاذبية على ذرات المويء، وهذا يؤدي إلى الضغط والتصادم والحرارة، فتصل إلى ستين ألف درجة مئوية في وسط الكتلة التي كانت سحابة، فتتحول ذراتها إلى نويات وجواهر فردة.

ب- وبعد هذا الذي كان تتخذ الكتلة شكلا كروياً أو شبه كروي، وتتحول مادتها المنفلقة ذراتها إلى خليط من غاز النوى وغاز الجوهر الفرد، وتستمر هذه الحالة من نحو عشرة ملايين من السنين، والحرارة في تزايد مضطرد وحجم الكرة في تناقص مستمر.

ج- عندما يبلغ قطر الكرة إلى نحو مليوني كيلومتر، وارتفعت درجة الحرارة إلى نحو عشرين مليونا من الدرجة المئوية، تبدأ النويات بالاندماج مع بعضها البعض.

د- من خلال ما سبق من تفاعلات يستحدث عنصر جديد اسمه (الهليوم)، وهو الثاني في جدول العناصر، وبفعل الاندماج بين النويات السابقة وهذا العنصر الجديد يتحول إلى طاقة وفق معادلة الواقع الثالث.

هـ- الانفجار النووي يحصل داخل الكرة بفعل العوامل السابقة، وهذا نفس القنبلة الهيدروجينية.

وأن لحظة الانفجار هي لحظة ميلاد النجم، ويكون هناك تعادل بين قوة انفجار النجم وقوة الجاذبية فتكون حالة استقرار نسبي.

الطور الثالث: وهو يتكلم عن ممات النجوم وانتهاء وجوده. فهو كالإنسان له مراحل من القوة والكهولة ثم الممات، وسبب هذا الانهيار فيه يرجع إلى تفاعلات معينة، مثل قلة وجود كمية المويء وزيادة مادة الهليوم، والضغط

والحرارة، ثم تؤدي إلى وقوع انفجارات عنيفة تؤدي بحياة النجم، اما إلى عناصر ثقيلة كتلك الموجودة في أرضنا، او إلى جسم نيوتروني صغير الحجم قوي الجاذبية، او تتشتت عناصرها وتتبعثر في بحار الغبار الكوني.

نتائج هذا الطور:

هو أن اللبنة الكبر (المجرات) شأنها كشأن اللبنة الصغرى، فكلاهما محفوفتين بالتغير والحدوث والفناء، وليستا أزليتان أبديتان كما يدعى، وكلاهما من مادة وطاقة[1].

(١): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٧٣- ٧٦.

وهذا دليل فيزيائي آخر يثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن المجرات والنجوم، حادثة وفانية هي كذلك؛ لكن بأدلة علماء الفيزياء الذين ينكرون حدوث العالم زوراً وبهتاناً. وهذه القوانين الفيزيائية هي من قبيل: من فمك أدينك.

المطلب السابع: الواقع السابع: جهنم الفضاء (الثقوب السوداء).

ملخص هذا الواقع: وما هو سبب التسمية؟

لإنها تحجب كل ما بداخلها فلا تدع منفذا ولا مجالا لانفلات أي شعاع أو ضياء منها، ولا انعكاس ما يتوجه اليها.

مميزات الثقوب السوداء:

أ- كل شيء يقع في نطاق جاذبيتها الهائلة فإنها تُدخله عن بعد.

ب- حلقومها يتسع لازدراد أكبر النجوم العملاقة.

ج- لها قوة هضم تحيل كرة مثل كرة الأرض إلى حجم حبة من الحمص.

وهي كما وصفها الدكتور عبدالله الهرشمي: حُيز في الفضاء يتزايد الضغط فيه ارتفاعا إلى حدود جد عالية خارجة عن نطاق التعيين بالدرجات.

العلماء كانوا يظنون انها مستقرة الحال؛ لكن استطاع العلماء ان يعرفوا انها غير مستقرة، وإنها تتفجر أحيانا وسط زخات من الاشعاع، وهذا أدى إلى أن نواة البروتون متحللة.

نتائج هذا الواقع:

مزيد من براهين التغير والحدوث، ودليل مثير في العلم مشير إلى سهولة الانحلال[1].

اذا كانت الثقوب السوداء (جهنم الفضاء) اكتشفوا ما يجري فيها من تغيرات، والتغير دليل الحدوث، فكيف بما عداه من مخلوقات؟!

المطلب الثامن: الواقع الثامن: التحلل وأعمار المواد.

وملخص هذا الواقع:

علم الفيزياء استطاع أن يحدد أعمار المواد من خلال قياس مقادير تحللها، وهذا أدى إلى تحديد جدول منتظم لأعمار أهم وحدات الكون والطبيعة وهي (الذرات المشعة، الأرض، الكواكب، النجوم، وغيرها).

(١): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٧٧- ٧٩.

واستطاع هذا العلم أن يقيس عمر مجرتنا درب التبانة بـ(ثلاثين ألف مليون سنة).

القائلون بأزلية المادة ليست آراؤهم نابعة من علم الفيزياء؛ بل بسبب المذاهب السياسية والاقتصادية.

الذرات التي نعرفها اليوم تدل على أصولها وعصورها الخالية.

نتائج هذا الواقع:

خاتمة من قواطع الأدلة والبرهان على ما كان، وما برح من التغير والتطور والحدثان، وكل عاقل ذي شأن قادر على فهم معادلات الكم والنسبية وترابط الزمان والمكان، أو استيعاب ما يسرناه منها في أسلوب جزل من البيان[1].

فهل بعد هذه الوقائع والأدلة الحاسمة الجازمة يشك عاقل أن الكون قديم وأبدي سرمدي؟

وأن هذا الكون ناتج من غير فاعل مختار، هيهات هيهات.

المطلب التاسع: الواقع التاسع: الانفجار العظيم والفتق المهول.

ملخص هذا الواقع.

اختلاف الناس في مسألة الكون، فمنهم قائل بحدوثه، ومنهم قائل بأزليته، وهؤلاء لا دليل عندهم على ما ذهبوا اليه، ولا من عقل ولا من نقل، وكانوا يتمسكون بعدم انحلال البروتون، وقد ثبت عكس ذلك.

أما القائلون بحدوثه فأدلتهم ما مر معنا من ادلة[2].

والسؤال هنا بعد عرض هذه الأدلة، هو كيف نشأ الكون الحادث بكل ما فيه؟

الجواب: قبل وجود الكون لم يكن هناك زمان ولا مكان[3]، ولا ندري متى ولا أين، انفجار هائل ودقيق في كل صغيرة وكبيرة لحدوثه ولآثاره، ومخطط له بعناية تامة.

---

(١): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٨١- ٨٢.

(٢): يقصد الأدلة من الواقع الأول إلى الواقع الأخير.

(٣): وفي الحديث النبوي الصحيح: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض). صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي

المحقق: د. مصطفى ديب البغا: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ط٥ن ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى:{وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}/الروم: ٢٧، ج٣، ص١١٦٦، رقم الحديث (٣٠١٩).

والكون حدثه بغتة وفجأة، وهذا يدل على الزمن التالي لا إلى الزمن السابق.

الزمن وأصل الكون وجدا معا دون سبق زمان، فان الشيء لا يسبق وجوده عين وجوده.

وهذا مصداق قوله تعالى: (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة يس، الآية ٨٣.

وجاء في تفسيرها: أي إنما يأمر بالشيء أمرا واحدا لا يحتاج إلى تكرار أو تأكيد[١].

وهذا عين ما ذهب اليه العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي؛ لكن من طريق الفيزياء.

سؤال: هل يملك علم الفيزياء الكونية، كم هو مقدار الفجأة ذاتها وقد اقترنت بالزمان وجودا؟

الجواب: نعم: رياضيات الكم والنسبية وثبوت سرعة الضوء ومعرفة عوارض القوى الطبيعية، قد يسرت اليوم بناء هيكل رياضي وحسابي لجواب هذا السؤال.

فقدرت هذه الفجأة ب ١على ١٠اس ٣٢ حيث الواحد المقسوم ثانية واحدة.

وهذا ما اثبتته المسرعات الحديثة للجزيئيات.

سؤال أخر: ما هو الذي انفجر؟

الجواب: مجموعة قوة ضغط هائلة وطاقة حرارة هائلة وجد للفجأة وانفجر فحدث الانفجار الهائل، وبما أن الطاقة والمادة متعاورتان تنقلب كل واحدة منها فتصير الأخرى كل ذلك في الفجأة.

سؤال أخر: هل وقع انفجار المفجر ذاتيا أو خارجيا؟

الجواب: من مانعة الخلو[٢] كما في علوم المنطق[٣]، أي لا يخلو الجواب اما يكون عين ذات المنفجر، أو أمراً خارجياً.

فواحدة من هاتين القضيتين صح والأخرى خطأ.

علم الفيزياء الكونية بناء على قوانينه يقتضي بيقين أن الشق الأول غير صحيح هو أن الانفجار عين المنفجر أي داخلياً.

---

(١): تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ج٦، ص٥٣١.

(٢): وهي التي حكم فيها بتنافي نسبتين، أو عدم تنافيهما في الكذب فقط، فمانعة الخلو، المجموعة المنطقية، مثال ذلك: زيد اما أن يكون في البحر أو لا يغرق. حكم فيها بتنافي الجزأين في الكذب. المجموعة المنطقية ص٦١٢- ٦١٣.

(٣): قوانين تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، علم المنطق، الأستاذ الدكتور محمد رمضان، قدم له، خالد خليل الزاهدي، مكتبة أمير- كركوك، ط١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م، ص٢٢.

وقد ذكر الدكتور عبدالله الهرشمي القوانين الفيزيائية التي تثبت أن الانفجار كان من الخارج، ويستحيل أن يكون داخلياً.

ولما كان المفجَر هو الكون والطبيعة بأسرها استحال افتراض أيما موجود خارجها أن يكون هو أيضاً من الطبيعة معدوداً فيها.

فلما وجب عقلا وعلما وجود المفجِر، واستحال عقلا وعلما كونه من عالم الطبيعة، تعين قطعا وجوده في (ما وراء الطبيعة) ولما كان الذي أُبدع من عدم بطريقة التفجير الهائل والفجأة هو الطبيعة والمكان والزمان جملة، فان الموجود في ما وراء الطبيعة الذي قدر وفجر وأبدع لا يمكن الا أن يكون ذا قدرة (لا متناهية) وعلم لا متناه، واحاطة كذلك بكل شيء.

ذلكم هو الخلاق المبدع الذي وصلنا اليه بالعلم والعقل(١).

واسم ذلك الخالق المبدع هو الله جل جلاله وعم نواله في اللغة العربية، وخودا في اللغة الكردية(٢).

ومن خلال ما سبق أصبح لدينا حقيقتان،

١- هذا الكون كله انما هو صنيع تقدير وتخطيط سابقين، وأراده ومشيئة خلاقتين، وقوانين ونواميس موضوعتين مطبقتين.

٢- أن المقدر الخلاق الواضح الذي توصلنا إلى ذاته العلية قبل قليل، فهو وحده السرمدي الحي القيوم العليم السميع البصير بديع السماوات والأرضين(٣)، وانه هو المتفرد ليس كمثله شيء أبدا لا ذاتاً ولا وصفاً(٤).

وهذا هو الجسر الذي بين الطبيعة وما وراء الطبيعة الذي ذكره الدكتور عبدالله الهرشمي.

إذن هذه الأدلة العلمية الفيزيائية هي التي كانت الجسر بين العالم المشاهد، والعالم الغيبي، لا يسع أحداً ألا يمر عليها.

---

(١): وهذا الذي ذكره العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي، هو الذي موجود في كل كتب علماء الكلام، في مبحث صفاته جل جلاله وعم نواله؛ لكن دلل عليها بطرق فيزيائية وليست كلامية كما هو معروف.

(٢): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٨٢- ٨٩.

(٣): يقول الإمام الغزالي: الدعوى الثانية: ندعي أن السبب الذي أثبتناه لوجود العالم قديم فإنه لو كان حادثاً لافتقر إلى سبب آخر، وكذلك السبب الآخر ويتسلسل إما إلى غير نهاية وهو محال، وإما أن ينتهي إلى قديم لا محالة يقف عنده وهو الذي نطلبه ونسميه صانع العالم. ولا بد من الاعتراف به بالضرورة ولا نعني بقولنا قديم إلا أن وجوده غير مسبوق بعدم، فليس تحت لفظ القديم إلا إثبات موجود ونفي عدم سابق. فلا تظنن أن القدم معنى زائد على ذات القديم، فيلزمك أن تقول ذلك المعنى أيضاً قديم بقدم زائد عليه، ويتسلسل القوم إلى غير نهاية. الاقتصاد، ص١٤٣.

(٤): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٩١.

ومن خلال الوقائع التسع التي صاحبنا فيها العلامة الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي، أثبت لنا ولكل من لدية مثقال ذرة من عقل، أن الكون حادث لا محال، وهو له بداية وله أيضاً نهاية.

وهذه النتيجة قد أثبتها بما أوجدته علوم الفيزياء والرياضيات الغربية، وهذا الأثبات بهذه الطريقة لم يسبق إليها حسب علمي أحد ممن اشتغل بهذه العلوم.

وكلنا نعرف أن الملاحدة يقولون ويرددون في كل مكان أنه لا توجد أدلة علمية على وجود خالق، وأن قضية وجود خالق ما هي إلا أساطير الأولين، وما نظرية التطور عنا ببعيد(١)، والملحد الإنجليزي ريتشارد دوكنز(٢)، وهو من علماء الأحياء، وقد ألف عدة كتب ادعى من خلالها عدم وجود أدلة علمية على وجود الخالق وكل ما يتعلق به.

والفيلسوف فريدرك وليام نيتشه القائل: بموت الإله. وغيرها الكثير.

المبحث الرابع: الخالق والمخلوق.

المطلب الأول: براهين عقلية:

مبدأ التعاند المتطارد، فأي شيء تسأل عنه فلا يخلو اما أن يكون في آن واحد موجوداً، أو معدوماً، وليس يصح قط أن يكون موجوداً ومعدوماً معاً.

وهذا الذي ذكره العلامة الدكتور عبدالله يسمى التضاد، ويُعرف: وهو أن يكون أحد المتقابلين وجودياً والآخر عدمياً قابلاً للوجود(٣).

واشترطوا له: أي في التضاد الحقيقي: هو أن يكون بين الوجودين اللذين يُمكن تعقل أحدهما مع الذهول عن الآخر تعاقب وبينهما غاية الخلاف(٤).

وسؤلنا هنا عن أثنين، هما الخالق والمخلوق، وهما اما أن يكونا موجودين في الواقع الآن، أو معدومين، أو أحدهما موجود والأخر معدوم؛ بسبب أن الوجود والعدم متناقضان، فالوجود هو

(١): تشارلز روبرت داروين (١٨٠٩- ١٨٨٢م) عالم طبيعة بريطاني، وهو صاحب نظرية التطور، المعروفة بنظرية داروين، والتي تتحدث عن النشوء والارتقاء في الخلق، ومن أشهر كتبه (في أصل الأنواع) والذي سطر فيه نظريته. ينظر: معجم أعلام المورد، ص١٨٢.

(٢): ينظر كتابه وهم الاله، وقد حشاه بأكاذيب ادعى أنها علمية، وأنه لا وجود لخالق، وكان عماد كتابه هو نظرية التطور.

(٣): مبادئ الفلسفة، العلامة المحدث سعيد بن أحمد بن علي بن يحيى البالن بوري (١٣٦٠- ١٤٤١هـ) اعتنى بع، د. محمد عبدالله فهمي، مكتبة الغانم، ط١، ١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م، ص١٠٤.

(٤): مطالع الأبصار للإمام الأصفهاني شرح طوالع الأنوار للإمام البضاوي مع حاشية الشريف الجرجاني، اعتنى بها، أيوب خالد، دار النور المبين للنشر والتوزيع- الأردن، ط١، ٢٠٢٣م، المجلد الأول، ص٤٧٩.

انتفاء العد، والعدم هو انتفاء الوجود، وهذا من ضروريات العقل.

ومن خلال ما سبق من السؤال الذي هو من ثلاثة أقسام، وهو قضية حقيقية (مانعة الجمع والخلو معا)[1] يسقط الاحتمال الثالث، وهو وجد أحدهما فقط.

والذي يقول به العقل، هو الشق الأول من السؤال، وهو وجود الخالق والمخلوق الآن معاً.

وهنا قد ذكر العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي سؤال وجواب في غاية الأهمية، يذكره من يريد نفي التناقض بين العدم والوجود، ويشاغبون فيه على الناس.

ملخص السؤال هو: الضوء الذي يأتي من النجوم البعيدة يستغرق ألاف السنين الضوئية وربما أكثر بكثير، وهو قد عدم ونحن نراه الآن بعيوننا.

وجواب العلامة الدكتور عبدالله عن هذا السؤال هو: أن انطلاق الشعاع من النجم ثم وقوعه في عدسات عينيك لم يتم في آن واحد؛ بل في آونة جد متباعدة، وأن ابصارك النجم لم يحصل بوقع النجم ذاته في باصريك؛ بل وقع الشعاع الذي انطلق منذ زمن بعيد، فرؤيتك أنت الشعاع الباقي من النجم بعد أن يكون ذات النجم قد انعدم ليس يوجد فيها شبهه من احتمال اجتماع الوجود والعدم في الواقع لذات واحد في آن واحد فالعقل قاطع في التعاند بين الوجود والعدم.

عودة إلى برهان التعاند، ومانعة الجمع الحقيقية، ونختار أننا والكون موجودان، وهذا غير محتاج إلى برهان[2]، لكن السؤال هنا: هو الكون ونحن منه أزليان غير معرضان لتغير والحدوث، أو حادثان متغيران؟.

وقد ثبت بكل الأدلة التي ذكرناها سابقاً أن هذا الكون غارق في التغير والحدثان من أصفر شيء هو الذرة ومكوناتها إلى المجرات الكونية.

وشيء اخر، هل هذا الكون ذاتي الوجود، أم وجوده من غيره؟

والجواب، أيضاً ببرهان التعاند، والقضية مانعة حقيقية، ومما سبق من أدلة يتبين: أن الذاتية في الوجود لا تتحقق الا بانتفاء العرضية[3]، والعرضية لا تتحقق الا بانتفاء الذاتية، فهما متعاندتان.

(١): وهي التي يحكم فيها بالتنافي بين جزأيها في الصدق والكذب معاً، كقولنا إما أن يكون هذا العدد زوجاً أو فرداً، تحرير القواعد المنطقية للعلامة القطب الدين محمد بن محمد الرازي (ت٧٦٦هـ) في شرح الرسالة الشمسية، لنجم الدين علي بن عمر بن علي الكاتبي (ت٦٧٥هـ)، مكتبة الهاشمية- تركيا، ط٢، ٢٠١٥م، ص٢٠٦.

(٢): وهذا هو المشاهد، والمشاهدة من أدلة البرهان العقلي، وهي كقولنا: الشمس مشرقة، والنار محرقة. ينظر: سيف الغلاب في شرح مغني الطلاب، ص٣٠٨.

(٣): وهو الممكن الموجود في موضوع، بدر العلات للشيخ عمر بن الشيخ محمد أمين القرداغي، في كشف غوامض المعقولات، للشيخ علي بن ملا محمد بن علي القزلجي، مكتبة الهاشمية- تركيا- ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م، ص٣٣.

ومما سبق من أدلة تأكد لدينا عرضية الكون وحدوثه وافتقاره إلى موجد من غيره.

هل موجد الكون عرضي الوجود أم ذاتي واجب الوجود؟

هنا يكون برهان التناسب، وهو كبرهاني التعاند والتلازم المعول عليهما آنفا من ضروريات العقل.

تعريف برهان التناسب: وهو من الضروريات الفطرية الراسخة فلا يحتاج هو فيه إلى كبير عناء بعد العلم بالواقع الموجود.

أمثلة عن هذا البرهان: إذا زعم شخص أن قلعة أربيل كانت قمة من قمم الجبال، وأن شخصاً قوياً استطاع حملها بيده ونزل بها إلى السهول والوديان ووضعها حيث هي موجودة الآن، فأنت تكذبه فوراً اعتماداً على قانون التناسب. فقد انعدم التناسب بين الموجود المزعوم رفعه، وبين الرافع المنسوب اليه الاقتدار على الرفع- فرفض العقل والقطع.

ونرجع إلى سؤالنا السابق الذكر: هل موجد الكون عرضي الوجود أم ذاتي واجب الوجود؟

العقل السليم يرفض رفضاً قاطعا، ويحكم بالشق الثاني لا محالة، والدليل على ذلك هو من برهان التناسب الآنف الذكر، فقد أدرك العقل انعدام التناسب بين خلق كون عظيم علمناه، وبين اقتدار محدود لخالق عرضي الوجود حادث، ومن ثم مخلوق، وهذه هي النتيجة ذاتها التي اولنا اليها الاستدلال العلمي بطرق أخرى في المبحث السابق، وتبين مواطن الانسجام بين البرهان العلمي والبرهان العقلي، وكلاهما خير.

بداهة العقل تفرق بين الخالق والمخلوق، وأن الخالق هو الذي يوجد المخلوق.

سؤال مهم: هل الخالق اللانهائي القدرة والعلم واحد أحد أم هو متعدد الذات مثنى أو أكثر؟

الجواب: لنفترض أن للكون الهين متصفين بصفات الالوهية فنرمز إلى أحدهما- أ- وإلى الآخر- ب-

فلا يخلو - أ- من أن يكون خالقاً- ب- أو مخلوقاً له، أو لا خالقاً له ولا مخلوقا. وهذه القضية العقلية كسابقاتها ممنوعة الجمع والخلو في شقوقها الثلاثة.

فاذا كان - أ- خالقاً- ب- فقد خرج - ب- من الخالقية إلى المخلوقية. أو - ب- خالقاً - أ- فقد خرج- أ- من الخالقية.

أو لا خالقا ولا مخلوقاً، فقد خرج كلاهما عن الخالقية، فتحتم أن يكون- ج- وحده خالقاً لهما ولغيرهما من المخلوقات. وبهذا البرهان يصل العقل إلى أن صفة القدرة اللانهائية تقتضي وحدة ذات القادر وتتعاند مع التعدد المفضي إلى النقص والنهائية، فالله جل جلاله واحد أحد

في العقل والواقع[١].

المطلب الثاني: الصياغة المنطقية:

ما سبق من أدلة صورها العلامة الدكتور عبدالله الهرشمي على شكل قوانين وأشكال منطقية، وهذا من باب سبك الموضوع بطريقة تلائم الجميع.

أولاً: القياس الاقتراني[٢]: الشكل الأول:

١- كل متغير فهو حادث – هذه القضية الكبرى

والعالم متغير - وهذه القضية الصغرى

النتيجة= العالم حادث.

هذا قياس مؤلف من مقدمتين الكبرى كلية وحدها الأوسط محمول في الصغرى موضوع في الكبرى، فالنتيجة موجبة[٣]- كما ترى: العالم حادث.

والذي يسلم بالمقدمتين يسلم بالنتيجة لا محالة.

تنبيه مهم: العالم هو الكون نفسه.

وبمثال آخر: كل حادث فوجوده من موجد= الكبرى

العالم حادث= صغرى

النتيجة= وجود العالم من موجد.

ثانياً: القياس الاستثنائي[٤]:

١- لو لم يكن العالم متغيرا لما كان حادثا- الواضعة. (الايجاب)

لكن العالم متغير- الرافعة (السلب)

النتيجة= العالم حادث.

هذا قياس استثنائي مؤلف من مقدمتين، واضعة[٥] ورافعة[٦]، مادتها هي عين مادة القياس الأول، والنتيجة هي هي، والذي تغير هو شكل القياس لا غير

(١): مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص٩٣- ١٠٠.

(٢): وهو الذي لم يكن عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه بالفعل، شرح الرسالة الشمية، للقطب الرازي، ص٢٥٩.

(٣): وهذا قياس من الشكل الأول في المنطق، ينظر: المجموعة المنطقية على تهذيب المنطق للخبيصي، ص٧٨٩- ٧٩٠.

(٤): وهو الذي تكون عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه بالفعل. الرسالة الشمسية، للقطب الرازي، ص٢٥٩.

(٥): أي موجبة.

(٦): أي سالبة.

ثم تطرق الدكتور عبدالله الهرشمي إلى الدور[١] والتسلسل[٢]، وكيف تم استخدامها في مسألة القدم والحدوث[٣].

المطلب الثالث: الصدفة.

هذه كلمة تطلق على المقابلة بين اثنين بقصد وبدون قصد فهي بهذا المعنى من أعمال الإرادة. وتطلق بمعنى الاتفاق أي وقوعه في وقتما دون سابق تعيين للوقت، وهي بهذا المعنى تشير إلى الزمان لا إلى السببية والعلية، فإذا سألك سائل من صنع الخبز، فأجبته الصدفة، فانت لم تجب بشيء؛ لأنه إنما سأل عن الخباز من هو لا عن زمان الخبز. وكون الزمان سابق التعيين أو غير سابقه فالقول بأن الكون وجد صدفة إن كان المراد بالصدفة أول المعنيين فمآله أن يكون وجد بمقابلة بينه وبين موجد- وليس هذا ما يريده صاحب المقابل، وإن كان المراد بها الاتفاق كما يقال اتفق أن رأيت فلانا اليوم أو في السوق فالمآل أن الكون وجد في زمان غير معين، وليس هذا بجواب لأصل السؤال ولا باختبار عما أذا كان أو لم يكن للطبيعة من خلاق وعلى المعنيين لا تخلو الصدفة من وقوع عما إرادي: فهل يزعم منتحل المادية أن الطبيعة خلقت نفسها بنفسها فهي الخالقة والمخلوقة معا؟! لكن هذه اللفظة تحدث شيئاً من التعمية تصلح غطاء للهرب من الاستدلال العلمي حين يعجز عنه[٤].

وبناءً على ما سبق لا علاقة للصدفة بوجود الكون لا من قريب ولا من بعيد، وهي بشكلها الذي ذكره العلامة الدكتور عبدالله ليس من العلم بشيء.

(١): والدور: هو أن يكون الشيء الذي وجد بالحادث هو الذي أوجد الحادث، وهذا مستحيل، والتسلسل يقتضي وجود حوادث لا أول لها، وهو مستحيل أيضاً: ينظر: مجموع جوهرة التوحيد (عبد السلام اللقاني، عبد البر الأجهوري، أحمد الصاوي، إبراهيم الباجوري، أحمد الأجهوري، دار تحقيق الكتاب، ط١، ٢١٢١م، المجلد الأول، ١٠٥. وينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري، ناشرون، لبنان، ط٤، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، ص٢٨٤.

(٢): والتسلسل يقتضي وجود حوادث لا أول لها، وهو مستحيل أيضاً، ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، ١٠٥. وينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، دكتور قحطان الدوري، ص٢٨٤.

(٣): ينظر: مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص١٠١- ١٠٦.

(٤): ينظر: مجمع الأشتات، الرفيق الأعلى، ص١١١وما بعدها.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

١- دور العلوم الحديثة كالفيزياء والكمياء وغيرها في إثبات العقائد الصحية.

٢- أهمية هكذا كتب كالرفيق الأعلى في الدفاع عن العقائد الصحيحة بطرق علمية مبتكرة.

٣- لا تصادم بين العلم والدين بتاتاً.

٤- لا مكانة للإلحاد بشتى العلوم، وهو إنما نابع عن شهوات وأهواء ضيقة.

٥- مكانة علماء التربية والسلوك في الدفاع عن العقائد الإسلامية الحقة، وأنهم في طليعة الميدان في هذا المجال، لا كما يدعى كذباً وزوراً بأنهم في العقائد بضاعتهم قليلة وغير صحيحة.

ثانياً: التوصيات:

١- تأليف الكتب التي تستهدف الإلحاد في الغرب خصوصاً، يجب أن تكون على هكذا منوال.

٢- تدريس هذه الكتب كـ (الرفيق الأعلى) في الكليات والجامعات خصوصاً الإسلامية منها.

٣- التصدي لظاهرة الإلحاد لا يكون بالشتم والسباب؛ إنما بالعلم والبرهان.

المصادر والمراجع

١- - ، بدر العلات للشيخ عمر بن الشيخ محمد أمين القرداغي، في كشف غوامض المعقولات، للشيخ علي بن ملا محمد بن علي القزلجي، مكتبة الهاشمية- تركيا- ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٢- تحرير القواعد المنطقية للعلامة القطب الرازي، في شرح الرسالة الشمسية، لنجم الدين الكاتبي، مع حاشية الشريف الجرجاني، المكتبة الهاشمية، ط٢، ٢٠١٥م.

٣- تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤- تمهيد للفلسفة، الدكتور الوزير محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف المصري الأسبق، وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف، مكتبة الإيمان، ط٢، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

٥- (جهود شيخ الأزهر محمد الخضر حسين ومعاصريه من العلماء في مواجهة الإلحاد) دراسة مقارنة (رسالة مقدمة لنيل درجة (العالمية) الدكتوراه، مقدمة من الباحث اياد علي سالم الطائي، إشراف، الأستاذ الدكتور عبد الله محيي الدين عزب أستاذ العقيدة والفلسفة وعميد كلية، الدكتور عرفة عبد الرحمن النادي مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية. أصول الدين- القاهرة.

٦- حاشية البنجويني على رسالة آداب البحث والمناظرة للكلنبوي (١٢٠٥هـ) مع تعليقات مجموعة من الأفاضل، دراسة وتحقيق، الأستاذ الدكتور محمد ذنون يونس الفتحي، دار الرياحين، ط١، ١٤٢٢هت- ٢٠٢١م.

٧- حاشيتا شيخ الإسلام حسن العطار (الكبرى والصغرى) على شرح مقولات العلامة الفاضل والمحقق الكامل أحمد السجاعي، مؤسسة السيد محمد مصطفى، دار ميراث النبوة، ط١، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١.

٨- الدكتور عبدالله مصطفى النقشبندي حياته وأدبه، الدكتور عثمان أمين صالح- جامعة صلاح الدين، ط٢، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٩- دراسات في الفلسفة الحديثة، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف المصري الأسبق، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، دار الطباعة المحمدية- القاهرة- مصر.

١٠- رسالة في علم الكلام، الامام أثير الدين الأبهري (ت ٦٦٣هـ)، تحقيق، محمد أكرم أبو غوش، دار النور المبين- عمان- الأردن، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١١- سيف الغلاب في شرح مغني الطلاب على متن إيساغوجي، الحاج محمد بن فوزي بن الحاج أحمد اليارانكموي، تنقيح، الدكتور الملا فريد قادري، انتشارات كردستان، ط١، ١٣٩٨هـ، ٢٠١٩م.

١٢- شرح الخيرابادي على متن هداية الحكمة، الإمام عبد الحق بن الإمام فضل الحق، دار النور المبين للنشر والتوزيع- الأردن- ، ط١، ٢٠٢٢م.

١٣- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ط٥ن ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٤- : العقيدة الإسلامية ومذاهبها، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري، ناشرون، لبنان، ط٤، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

١٥- الفردوس الندي في تراجم مشايخ الطريق النقشبندي، شرح منظومة العلامة عبدالله الجلي، من تحريرات الشيخ العلامة ملا طيب البحركي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في إقليم كردستان، ط١، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٨م.

١٦- الاقتصاد في الاعتقاد، حجة الإسلام والمسلمين الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠- ٥٠٥هـ)، عنى به: أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار المنهاج- المملكة العربية السعودية- جدة- ط٢- ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

١٧- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٨- مجمع الأشتات أربعة في كتاب، العلامة الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي، طبع بمطابع التعليم العالي، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

١٩- مبادئ الفلسفة: مبادئ الفلسفة، العلامة المحدث سعيد بن أحمد بن علي بن يحيى البالن بوري (١٣٦٠- ١٤٤١ه) اعتنى به، د. محمد عبدالله فهمي، مكتبة الغانم، ط١، ١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م.

٢٠- المجموعة السنية على شرح العقائد النسفية، (رمضان أفندي، الكستلي، الخيالي)، عنى بها مرعي حسين الرشيد، دار نور الصباح، ط١، ٢٠١٢م.

٢١- المجموعة المنطقية وتحتوي على التذهيب للخبيصي على تهذيب المنطق والكلام للتفتازاني، بحواشي: العلامة، وحسن العطار، والشرنبوي، مكتبة أمير- كركوك- العراق- دار أبن حزم- ، ط١، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م.

٢٢- مقدمات علم الكلام، الأستاذ الدكتور محمد ربيع جوهري، عميد كلية أصول الدين الأسبق- جامعة الأزهر الشريف، ط١، ١٤٤٥هـ- ٢٠١٨م.

٢٣- المقولات العشر بين الفلاسفة والمتكلمين، الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبدالله، مركز الهاشمية- تركيا- ط٢، ٢٠١٦م.

٢٤- - المقالات في المقولات، الشيخ العلامة مفتي العراق عبدالكريم المدرس، تحقيق، الدكتور ريان توفيق خليل، دار الرياحين، ط١، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٥- مطالع الأبصار للإمام الأصفهاني شرح طوالع الأنوار للإمام البضاوي مع حاشية الشريف الجرجاني، اعتنى بها، أيوب خالد، دار النور المبين للنشر والتوزيع- الأردن، ط١، ٢٠٢٣م.

٢٦- نظرية المعرفة الأبستمولوجيا وأثرها في السلوك والاعتقاد، (السوفسطائيون، العقليون، التجريبيون، المسلمون) الدكتور اياد علي سالم المساري الطائي، دار النور المبين للنشر والتوزيع- الأردن- ، ط١، ٢٠٢٤م.